الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك

وقد فُضِّل نُصَيْبٌ على الفرزدق في موقفهِ عندَ سُليمانَ بنِ عبدِ الملك، وذلك أنَّهما حَضَرا، فقالَ سليمانَ للفرزدق: أنشدني –وإنما أرادَ أن يُنشدَه مدْحاً له– فأنشده:

وَرَكْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلبُ عِندَهم لَها تِرَّةٌ من جَذبِها بالعصائبِ

سَرَوا يخْبِطونَ الرِّيحَ وهي تَلُفُّهم إلى شُعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحقائبِ

إذا آنسوا ناراً يقولونَ لَيتَها وقد خَصِرَتْ أيديهِم نارُ غالِبِ

فأعرضَ سليمانُ كالمُغضَبِ، فقال نُصَيب: يا أميرَ المؤمنين، ألا أُنشِدُكَ في رَوِيِّها ما لعلَّهُ لا يتَّضِعُ عنها! فقال: هاتِ، فأنشده:

أقولُ لرَكبٍ صادِرينَ لَقِيتُهم قِفا ذاتِ أوشالٍ ومَولاكَ قاربُ

قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنَّني لِمعرُوفِهِ مِن أهلِ وَدَّانَ طالبُ

فعاجوا فأثْنَوا بالذي أنتَ أهلُهُ ولو سكَتُوا أثْنَت عليكَ الحقائبُ

وهذا في باب المدحِ حسَنٌ ومتجاوَزٌ ومبتدَعٌ لم يُسبَق إليه. على أن الشاعر وهو أخو همدان قد قال في عصرِه في غيرِ المدح:

يمرُّونَ بالدَّهنا خِفافاً عِيابُهُم ويَخرُجْنَ من دارين بُجرَ الحَقائِبِ

على حينِ ألهى الناسَ جُلَّ أمورِهم فَنَدْلاً زُرَيقُ المالَ نَدْلَ الثَّعالِبِ

وليس شعرُ نُصَيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجودَ من قولِ الفرَزدق في الفخر، وإنما يفاضل بين الشيئين إذا تناسبا.

وقد قال سليمانُ للفرَزدق وهو يقول:

وخيرُ الشعرِ أشرَفُهُ رِجالاً وشرُّ الشعرِ ما قالَ العبيدُ

ثم نرجع إلى تفسير الشعر.

وقوله: (يمرون بالدَّهنا خِفافاً عِيابُهم) يعني قوماً تجاراً، وقد قالوا إنما ذَكر لصوصاً، والأول أثبت، وذلك أن (دارين) سوقٌ من أسواق العرب.

وقوله: " بُجر الحقائب" يقول: عظام، ويقال للرجل إذا اندلقت سُرَّته فنتأت متقدمة: رجل أبجر، ويقال لها: البُجرة والبَجَرةَ. وفُعلةٌ وفَعَلةٌ تقعان في الشيء، يقال: قُلفةٌ وقَلَفةٌ، وصُلْعة وصَلَعةٌ، ومثل هذا كثير.

وقوله: "على حينِ ألْهَى الناسَ" إن شئت خفضت "حين" وإن شئت نصبت، أما الخفض فلأنه مخفوض، وهو اسم منصرف، وأما الفتح فلإضافتك إياه إلى شيء معرب، فبنيته على الفتح

لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك، ولو كان الذي أضفته إليه معرباً لم يكن إلا مخفوضاً، وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول" جئتك على حين زيد" و" جئتك في حين إمرة عبد الملك"، وكذا قول النابغة:

على حينِ عاتَبْتُ المشيبَ على الصِّبا وقلتُ: ألمّا أصحُ والشيب وازعُ!

إن شئت فتحت، وإن شئت خفضت، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن.

وقوله" ندلاً" مصدر، يقول، اندلي ندلاً يا زريق المال، والندل: أن تجذبه جذباً، يقال: ندل الرجلُ الدلو ندلاً إذا كان يجذبها مملوءة من البئر، فنصب" ندلاً "بفعل مضمر وهو" أندلي "وهذا في الأمر، تقول: ضرباً زيداً، وشتما عبد الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل.